بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الأُولَى

الْمَهْـدِيُّ وَفِقْهُ أَشْرَاطِ السَّـاعَةِ

الحمد لله أحمده على سُبُوغ نعمته، وأشكره على توفيقه وهدايته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له في ربوبيته، ولا نديد له في ألوهيته، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلى جميع بريته، بشيرًا بجنته، ونذيرًا بنقمته، صلى الله ـ تعالى ـ وسلَّم عليه وعلى آله وقرابته، الذين اختصهم الله بتطهيره وكرامته، وأصحابه الذين فضلهم على سائر أمته.

أَمَّا بَعْدُ:ـ

فما أشد حاجتنا إلى دراسة «فقه التاريخ» بعين البصيرة لا بعين التقليد؛ فالتاريخ فيه عبرة لأولي الألباب؛ إذ يكشف لنا كيف تعمل سنن الله ـ تعالى ـ، ومصير الذين يحترمون هذه السنن، ومصير الذين يخدعون أنفسهم بالقفز فوق هذه السنن التي لا تحابي أحدًا، حتى لو كان من الصالحين أصحاب النوايا الحسنة، والعاطفة الجياشة.

وقضية «**ادِّعاء المهدية**» كانت مجالًا رحبًا لبعض الصالحين ممن يريدون الخير، وتمكين الدين، «وكم مريدٍ للخير لا يبلغه»؛ فقد التبست عليهم الأمور، وانساقوا وراء العواطف التي أَعْمَتْهُمْ عن المعايير العلمية الدقيقة التي لا يرعاها حق رعايتها إلا الراسخون في العلم، قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل»(١).

وعلى الطرف الآخر، كانت دعوى المهدية مجالًا رحبًا صال فيه وجال طُلَّاب الدنيا، وأصحاب الهوى، وعشاق الرياسة، الذين يصدق فيهم وفي أتباعهم قول شوقي:

سُخِّر النـاسُ ـ وإن لم يعلموا ـ لِـغَـويٍّ أو قَـويٍّ أو مـبـيـن(٢)
والجمـاعـات مـطـايـا المُرْتَـقـي لـلـمعـالي وجسـورُ العـابـريـن

وفي عالم الأفكار ـ كما في عالم الأزياء ـ «صيحات» و «تقاليع» تُفْرَضُ ـ بفعلِ فاعلٍ ـ لتستلفت أنظار الناس بعيدًا عن خطرٍ حقيقي، وتستقطب اهتمام الطليعة الفعالة في الأمة

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/ ١٢٠-١٢١).

(٢) المبين: ذو البيان والفصاحة، الذي يخلب ألباب الناس بزخرف القول.

بعيدًا عما ينبغي أن يشتغلوا به من واجب الوقت، أو تَفْرِضُ نفسها على الساحة الفكرية، التي صارت في كثير من البلدان خاوية إلا من الصحف المسمومة، أو المطبوعات التي لا تخضع لرقابة «فقهية شرعية»؛ فتفجر قضايا يتابعها الناس بِنَهَم، وتشغل الحاضر والبادي، ومع غياب العلماء، أو تغييبهم يُفتقد الانضباط، ويكثر اللغط، ويُدْلي كلٌّ بدلوه، وتُبتذل القضايا الكبرى حين ينطق فيها الرويبضة(١)، ويتصدر ـ للخوض فيها ـ من ليس للكلام أهلًا، ويُكثر اللغطَ من كان يحبس لسانه في فمه وَجَلًا.

نُبِّئْتُ أن النـار بـعـدك أُوقِـدَتْ   واستبَّ بعدك يا كليب المجلسُ

وتحـدثـوا في أمـر كُـلِّ عـظـيـمـة   لو كنت حاضرهم بها لم ينبسوا

ولعل «آخر» هذه «الصيحات»، وأحدث «التقاليع» ما نسميه «ظاهرة العبث بأشراط الساعة»؛ وهي قضية وثيقة الصلة بموضوع هذا الكتاب، ولو ذهبنا نستقصي المؤلفات والمقالات، بَلْهَ الخطب والمحاضرات التي تناولت الحديث عن أشراط الساعة، بمنهج مبتدَع دخيل، وأسلوب عجيب غريب، لطال بنا الكلام، لكن نرجئ ذلك إلى الفصل المخصص له.

وبعد:

فهذه الطبعة الأولى من «المهدي وفقه أشراط الساعة» امتازت ببيان وصفي وتحليلي لأحوال بعض مدعي المهدية، واستنباطِ العبر حتى لا تتكرر أخطاء الماضي، وكي لا نُلْدَغ من نفس الجحر فوق ما لُدِغنا، وكذا امتازت بدراسة نقدية لظاهرتَي: «عدوان مدعي المهدية على مصادر التلقي»، و«العبث بأشراط الساعة»، وغيرهما من الموضوعات المتفرقة التي لا تخلو ـ ولله الحمد ـ من فائدة، وضمنته كتابي «المهدي حقيقة لا خرافة» الذي سبق أن طبع أربع طبعات بعد تنقيحه وتهذيبه.

اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو أن نُفْتَنَ، اللهم ارزقنا هديًا قاصدًا، وجَنِّبْنا منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، إن ربي لسميع الدعاء، ولله الحمد والمنة، على نعمة الإسلام والسنة، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الإسكندرية

الاثنين ٦ من ربيع الآخر ١٤٢٣هـ

الموافق ١٧ يونيو ٢٠٠٢م

---

(١) الرُّوَيْبِضَة: فسره النبي ﷺ بأنه «الرجل التافه ينطق في أمر العامة»، والتافه: الخسيس الحقير، والرويبضة، تصغير الرابضة، وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها، وزيادة التاء للمبالغة، كما في «النهاية» (٢/١٨٥).